الجغرافية السياسية الأثيوبية
وإمكانية التكامل بين شعوب ودول وادي النيل

❖ د. سيد أحمد علي عثمان العقيد

Abstract:

In this piece of study, we would like to place the cornerstone by looking for the most up -to-date studying in order to bring together the political geography and historical study. The objective of this trial is to illustrate the denominators in common among the peoples and states of the Nile valley in respect of the political, agricultural, social, economical, and historical and civilization fields, so as to motivate the policy makers to take unified position as regards vital issues.

So the essence of the above mentioned is to make a combination between geo-political and historical base and links them with all aspects about Ethiopia, its recourses and Nile valley, both people and states alike for the purpose of an overall integration and cooperation between peoples and states of this area.

مقدمة :

في هذا البحث الذي يعتبر محاولة غايتها التدقيق والبحث عن القواسم المشتركة جغرافياً وجيولوجيًا وحضارياً واجتماعياً والتركيز عليها وإبرازها في شكل منظومة منطقية وعلمية تعين الساسة وصناع أقدارها في هذه الدول للتوحد في الأهداف والتخطيط والأستراتيجيات في عالم بدأ يتجه نحو التكتل ونحن فيه نتجه نحو التمزق والتفتت والتشرذم.

إن القواسم المشتركة بين دول وشعوب وادي النيل تتجسد في المصطلحات المكانية والمفردات اللغوية والدين بشقيه المسيحي والإسلامي والتاريخ والأرض والجوار والنيل. كما يشيرالبحث إلى حتمية التعاون والتكافل بين شعوب ودول وادي النيل. حيث عدد المفرات وأبرز المعطيات الزمانية والمكانية والحضارية

❖ الأستاذ المشارك بقسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة النيلين .

والإجتماعية التي تدعم نتائج هذه الدراسة. إذلا يخفي أن أي قراءة مستقبلية تتجاوز المعطيات هذه التاريخية الهامة لا تصب في مصلحة هذه الشعوب وتلك الدول بقدر ما تلبي الإستجابة لأجندة خارجية.

الحبشة :

يقال : أحبشت المرأة بولدها إذا جاءت به حبشي اللون أي شديد السواد. وناقة حبشية : شديدة السواد، والحبشية ضرب من النمل سود عظام. فالاسم حبشية والنسبة حبشية، وروضة حبشية : خضراء تضرب إلى السواد (١). ومادة حبش في العربية تدل على الجمع والتحالف. ولما سكنت قبيلة حَبَشَت في شمال الحبشة نسب الجزء الشمالي اليهم وسمى باسمهم ثم أطلق العرب الحبشة على جميع البلاد. ومنها أخذ الإفرنج لفظ (Abyssinia) (٢).

والحبشة مصطلح يطلق ويراد به ذوو البشرة السوداء أو السمراء. ويعكس لنا ذلك مدى والتطابق بين مصطلحي السودان والحبشة في المصادر العربية والإسلامية. وفي كتابات القدماء من إغريق ورومان.

والحبش : اسم لقبيلة يمنية تدعى (حَبشَات) وجمعها أحباش وفدوا إلى هذه البلاد قبل الميلاد (٣). إن هذا الاسم كان نسبة لإحدى القبائل العربية المهاجرة إلى هذه البلاد فأطلق على البلاد كلها(٤) مما يدل علي سيطرتها وهيمنتها وتفوقها الحضاري والثقافي فاقتضى إطلاق اسمها على المنطقة كلها. ويحدد باحث آخر فترة الهجرة اليمنية العربية بقوله : (والحبش : كلمة عربية تعني خليطاً وأطلقت على القبائل العربية المهاجرة إلى الحبشة في القرن السابع قبل الميلاد (٥). الأمر الذي يؤكد على عمق العلاقة العربية الحبشية وأبعادها. وإن كان الأمر يبدو أبعد من ذلك حيث عُرف مصطلح الحبشان منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة المصرية (١٥٨٠ - ٣٥٠ ق.م) التي كانت تتاجر مع بلاد بنت، وهم الذين جاءتهم الحشود غازية حيناً ومسالمة حيناً آخر من عهد سبأ وغيرها من جزيرة العرب (٦). مما يؤكد أن هذه الهجرة قديمة وموغلة في القدم.

---

(١) محمد بن مكرم بن علي: أبن منظور لسان العرب، مصر، القاهرة، . دار المعارف ١٩٨١م، مج٢، مادة حبش ص٧٥٣- ٧٥٤ .

(٢) عبدالمجيد عابدين : بين الحبشة والعرب، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص ١٢

(٣) فيليب رفلة : الجغرافيا السياسية، مصر، القاهرة، د.ن، ١٩٦٦م ص٣٣٥

(4) Buxton's. Travels in Ethiopia London Sec .Ed .1967.p.23.

(5) Trimingham ,S :Islam In Ethiopia , London (Sec.ed.1965) p.4

(٦) باذل ديفيد صن : أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة، جمال محمد أحمد، لبنان، بيروت، د.ن، ١٩٦١م ص٣٨٧ - ٣٨٨

إن هذه التعريفات كلها تقرب المعنى وتكشف جزءاً من الحقيقة إذ تقرر عمومية اللفظ وشموله وقدمه بل ترادفه مع مصطلح السودان الذي لا يبعد معناه عن ذلك كثير.

أثيوبيا :-

أما المصطلح الثاني وهو أثيوبيا فهذه كلمة أطلقها قدماء الإغريق على البلاد المتاخمة لحدود مصر الجنوبية مما يلي الشلال الأول وهو ما كان يسميه الفراعنة مملكة كوش ولم تطلق على ما نعرفه الآن بأثيوبيا وهي لفظة يونانية مركبة من كلمتين بمعنى (الوجه المحترق). وقد أطلق الأحباش هذا اللفظ على بلادهم تيمناً بذكره في التوراة (٧) هذا ما ذهب إليه عبدالمجيد عابدين. بيد أن ذلك مخالف لما ذهب إليه فليب رفلة بقوله : (أن أثيوبيا مصطلح أطلق على الجهات الواقعة إلى الجنوب والجنوب الشرقي من بلاد النوبة ولقد ذكر هوميروس الأثيوبيين، وكان بذلك يعني الرجل ذو الوجه المحترق (٨) التعريفان قريبان من بعضهما ولا يختلفان. ولقد ذكر هوميروس الأثيوبيين، والأثيوبي لديه يعني الرجل الأسمر ووصفه بأنه أبعد إنسان يعيش على وجه البسيطة. وأشار إلى أن الحضارة الأثيوبية بدأت قبل الحضارة الأثينية. مما يعني أصالة وبعدا حضارياً جديداً يحتاج إلى دراسة وقدر من التحقيق والبحث ليرفع مما تقذف به أفريقيا من البدائية. لا سيما وأن الإثبات والبرهنة على أن بدء الحضارة بأفريقيا يعني قدراً من المشاركة الأفريقية الفاعلة في صنع الأقدار الإنسانية الإيجابية أما هيرودتس المؤرخ اليوناني أبو التاريخ فقد وصف أثيوبيا في كتاباته بأوصاف متعددة، ويعتقد الدارسون أنه حصل على تلك المعلومات أثناء زيارته لمصر(٩). ويلاحظ أن كلمة أثيوبيا هنا تعني كل المنطقة المعروفة الآن بالسودان وأثيوبيا وإريتريا. وقد عرفت أثيوبيا في الآثار المصرية كما عرفت في التوراة باسم (كوش) مما يؤكد على عمق وأبعاد العلاقة السودانية المصرية الحبشية الضاربة في الجذور. وتعتبر أثيوبيا أول مملكة قامت في بلاد السودان الحالي أي داخل حدوده الجغرافية والسياسية الحالية وأمتدت حدودها من الشلال الأول عند أسوان إلى أقاصي الحبشة شمالاً وجنوباً وانقسمت إلى قسمين : أثيوبيا العليا المعروفة الآن بالحبشة. وأثيوبيا السفلى في شمالها. وهي تشمل حدود سودان وادي النيل الحالي.

---

(٧) عبدالمجيد عابدين : مصدر سبق ذكره ص ٧ .
(٨) فيليب رفلة : مصدر سبق ذكره، ص٣٣٥
(٩) زاهر رياض وعبدالعليم السيد منسي : أثيوبيا - مصر، القاهرة، د.ن، ط١٩٦٣م ص١١

هذا العرض بأبعاده الموضوعية يؤكد على أن مصطلح أثيوبيا كان عرضة للإتساع في المفهوم والمدلول من عصر إلى آخر فلربما دخل في مدلوله بعض المناطق على الضفة الشرقية للبحرالأحمرحتى غدا اليمن جزءاً منها وأطلقوا أثيوبيا الآسيوية على اليمن وضفاف خليج فارس.

كوش :-

أما كوش فكان يطلقها قدماء المصريين على حدود مصر الجنوبية وهي ما نسميه بلاد النوبة. وقد ذكرها العبرانيون في التوراة (تكوين ١٠ : ٦ :٧) (وبنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان وبنو كوش سبا وحويلة وسبته ورعمه وسبتكا وبنوشبا ودودان كولد من أولاد (حام). وذكر بها النقوش الحبشية بصيغة كاسو).

ولعل مما يؤكد على أن أثيوبيا كانت أكثر إطلاقاً على السودان الحالي من غيره هي إشارة هيرودتس إلى أن مروي كانت عاصمة لأثيوبيين آخرين. حيث عرفت في عهده منطقة شندي ومروي القديمة بأثيوبيا (١٠)، وكانت أثيوبيا العليا عاصمتها أكسوم التي أصبحت العاصمة الروحية بعد قدوم المسيحية وهي غنية بالآثار الوثنية والمسيحية. وكان التقليد أن يذهب إليها أي ملك لكي يتوج من باب التبرك. ولا تزال الآثار القديمة لهذا التقليد ومكان تنصيب الأباطرة وتيجانهم محفوظة في كنيسة أكسوم حيث يوجد بأكسوم الآن عدد من المسلات التي تختلف من حيث حجمها عن مسلات مصر إذ تمتاز المسلات الأثيوبية بالضخامة والاختلاف شكلاً وموضوعاً. ويرجع تاريخها إلى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد (١١).

الأمر الذي يؤكد على تميز حضاري وإرث ثقافي متميز عن الشمال. وعلي كل يمكن التقدير بأن هجرات عربية من الجزيرة العربية في فترة تاريخية غير محددة قد أتت أثيوبيا ضمن الموجات الحامية التي وفدت إلى هذه المناطق (١٢).

ويسمي الأحباش أرضهم أثيوبيا منذ اعتناقهم المسيحية في القرن الرابع الميلادي. ويذهب بعض الباحثين إلى أنهم يشعرون الآن بامتعاض من تسميتهم بالأحباش (١٣). يبدو هذا الرأي في تقدير الباحث بأنه غير صائب لأننا في العهد الإسلامي الأول نجد المصادر الإسلامية تشير إلى هذه البلاد بالمصطلح

(١٠) الان مورهيد : النيل الأزرق . ترجمة إبراهيم عباس أبو الريش، لبنان، بيروت، د.ن، ط١٩٦٩م . ص٣٦٠ – ٣٦٨ .

(11) Buxton , D. Op.Cit . P.104-108 .

(12) 6 Trimingham , S: Op.Cit .P

(١٣) فيليب رفلة : مصدر سبق ذكره . ص٣٣٥ .

الحبشي مع تضمينها لما أخذناه من تحفظات سابقة تجاه لفظ الحبشة، علماًبأن المصطلح يشتمل على عمومية يمكن اعتبارها لصالح الرأي القائل بأن الهجرة الأولى للحبشة كانت للسودان الحالي ولقد ظل هذا المصطلح شائعاً بعد اعتناق الحبشة للديانة المسيحية.

والذي ينبغي تأكيده أن مصطلح الحبشة كان سارياً حتى القرن السابع الميلادي بل كان المصطلح المعروف والسائد في القرن التاسع عشر منذ بدايته إلى نهايته. مما يمكن أن يرد به على ما أورده سابقاً أحد الباحثين الذي قرر أن الأحباش يمتعضون من إطلاق هذا الاسم عليهم وانهم بعد القرن الرابع أطلقوا على بلادهم مصطلح أثيوبيا، وهو ما تنفيه الوقائع حيث تقرر المصادر الإسلامية الموثوق بها خلافه فلقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى لهم النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه وقال : استغفروا لأخيكم (١٤). وروى البخاري بسنده عن أم خالد بنت خالد قالت : قدمت من أرض الحبشة وأنا جويرية فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة (١٥).

ومما مضى يبدو أن مصطلح أثيوبيا أطلق حديثاً جداً في بداية هذا القرن على هذه المنطقة المعنية بالدراسة ويمثل ذلك الاتجاه محاولة لمحو الوجود العربي والإسلامي وجرياً وراء التقليد لتأكيد وثنية الثقافة وجاهلية النسبة. لا سيما وأنه ومنذ القرن السادس عشر وما قبله دار صراع قوي بين الوجود الإسلامي والوجود الكنسي المدعوم من أوروبا، والذي تمكن أخيراً في القرن التاسع عشر من أن يشن حرباً ضروساً وعلى نحو شرس ضد الوجود العربي والرموز الإسلامية في تلك البلاد وأن يعمل على إقصائها عن كل دور قيادي وإيجابي فاعل في البلاد مع القيام بمحاولة تنصير إجبارية من قبل قيادة لا تعرف الشفقة أو الرحمة. بدءاً بعهد الإمبراطور ثيودور وانتهاءً بعهد الإمبراطور منليك الثاني. وطال الأمر حتى التراث والثقافة والأسماء والعمران ودور العبادة.

التضاريس وإمكانية التكامل بين دول وادي النيل :-

رغماً عن أن هذه الدراسة هي دراسة تاريخية بيد أن دراسة التضاريس والموقع وتناولها من الناحية الطبيعية هو مهم في حد ذاته لعدة إعتبارات :-

---

(١٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ٢٥٦هـ، صحيح البخاري، تركيا، اسطنبول - ط المكتبة الإسلامية، د.ت، ج ٤ ك. ٦٣ باب٣٧, ٣٨ . ص٢٤٥ - ٢٤٦ .

(١٥) المصدر السابق .

■ أولاً : لأن طبيعة المكان لها أثر على الإنسان وعلى مجريات الأحداث وعلى الأقدار الحضارية في التاريخ وهو ما يُعرف بالجغرافية السياسية التي غايتها تطبيق المبادئ الجغرافية على مشكلات السياسة الداخلية والخارجية، وبالتالي فهي تبحث في الحقائق الموضوعية المتصلة بالموقع والحدود والتماسك والالتحام الداخلي من حيث علاقاتها برخاء الأمم ورفاهيتها وهو أمر لا ينكره عاقل أعنى أثر (Geopolitics) (١٦) الجغرافية السياسية ومدي اثرها علي الأحداث التاريخية.

■ ثانياً : إن قيام الحضارات على ضفاف الأنهار هو أمر له دلالته الموضوعية والمنطقية في التاريخ البشري مما يؤكد على نظرية تأثير المكان على الإنسان.

■ ثالثاً : ارتباط المنتوجات الزراعية بأقدار المناخ وهو أمر لا ينكر.

■ رابعاً : أن الحاجة هي أم الاختراع وهي ضرورة مكانية دفعت الإنسان لمواكبة حاضره والتعاطي مع واقعه بإيجابية. والتجربة اليابانية والسويسرية خير مثال.

وإذا سلمنا بهذه المعطيات وهي حقائق علمية فإن الأمر يقتضينا أن نعطي مساحة في هذه الدراسة لمعرفة طبيعة الأرض والمناخ والمنتجات لمعرفة مدى أثر ذلك على ما جرى وما يجري من أحداث في هذه المنطقة. ودراسة المناخ والتضاريس ضرورية في أي تخطيط إستراتيجي غايته إحداث تكامل وتعاون بين دول المنطقة، وهو مما يعين السياسي الإستراتيجي في وضع سقوف للتعاون والتكامل والتنسيق بين شعوب ودول المنطقة.

تمتد الحبشة (أثيوبيا) الحالية من الشمال إلى الجنوب قرابة (١٥٢١ ك) وهي تشرف على البحر الأحمر في شمالها الشرقي وتمتد السواحل الإريترية لمسافة (٩٦٠ ك) حيث يوجد ميناءا عصب ومصوع. أما في جهتها الشرقية والجنوبية الشرقية فتشكل الصومال حدودها وتحول بينها وبين المحيط الهندي، وتحدها كينيا جنوباً والسودان الحالي شمالاً وغرباً (١٧).

وتقع الحبشة في المنطقة الحارة إلى الجنوب من خط عرض (١٥ درجة) وتكاد في نهايتها تمس خط الاستواء. وتحتل القسم الأكبر من القرن الأفريقي وليس لها منفذ بحري إلا ما ضمته من أراضي إريتريا أخيراً من مينائي مصوع وعصب في أقصى الشمال. وتأتي أهمية هذا الامتداد في أن جزءاً كبيراً من البحر الأحمر

(١٦) أمين محمود عبدالله : دراسات في الجغرافيا السياسية، مصر، القاهرة، مكتبة النهضة، د.ط، ١٩٦٨م ص٨ .

(١٧) زاهر رياض، عبدالعليم السيد منسي : مصدر سبق ذكره ص٥ .

تقع مياهه الإقليمية في حدود هذه الدول الأربعة (مصر والسودان وإريتريا وأثيوبيا). وهو منفذ إستراتيجي من الناحية العسكرية والاقتصادية. وهو مما يعين على تشكيل نظرة تعاونية وتكاملية، هذا فيما يخص ساحله الغربي.

والآن وبعد استقلال إريتريا فقدت أثيوبيا أي منفذ وأضحت بحاجة إلى اتفاق ثنائي مع كل من السودان وجارتها إريتريا لتسويق منتجاتها وتبادل منافعها، على أن تتيح لها هاتان الدولتان استخدام موانيها لاسيما وان الدول المتقدمة الآن بدأت تتجه نحو التكامل فالسودان وإريتريا وأثيوبيا ويوغندا التي تشترك مع أثيوبيا في ذات الأقدار من حيث حاجتها إلى منفذ بينها قواسم مشتركة ومصالح وارث وحضارة وتراث مشترك ينبغي على هذه الدول أن تستثمره لصالح شعوبها ولصالح المنطقة ككل.

والنظرة الإستراتيجية القائمة على تبادل المنافع وأهمية التعاون وضرورة التخطيط المشترك لدول الجوار في مواجهة العولمة تقتضي من قيادات هذه الدول (السودان ومصر وأثيوبيا وإرتريا ويوغندا) أن تجلس على طاولة واحدة للإستفادة من قدراتها وإمكاناتها وإحداث قدر من المساحة المشتركة لتبادل المنافع وتحقيق أكبر قدر من من الإستفادة من هبات الطبيعة واستثمارها.

وتتدرج البلاد الأثيوبية من سواحل البحار شرقاً ومن السودان وأواسط أفريقيا غرباً في الارتفاع التدريجي حتى تصل الهضبة الحبشية التي يتراوح متوسط إرتفاعها بين ٧٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر. وفيها من المرتفعات والجبال ما يصل إلى ١٤,٠٠٠ قدم ويشكل هذه الهضبة جداران هائلان يحميان في وسطهما أراض غاية في الخصوبة واعتدال الجو. وتتناوب فيها السهول الخصبة مع الوديان السحيقة والجبال فتجعل منها بلاداً شديدة الوعورة، وتتمتع بموانع طبيعية حبتها بها العناية الإلهية لا حصر لها توحي بالمناعة والقسوة.

ولعل ذلك يفسر السبب الذي جعل هذه البلاد في عزلة عن العالم بالرغم من نفوذ الهجرات والديانات إليها وما حملته من معاني الحضارة إلا أنها بقيت ذات طابع خاص وفي تقدير الباحث لا يخفى أن للطبيعة أثرها القوي والفعال على الإنسان، وبذا يمكن تفسير تذبذب العلاقات الحبشية (الأثيوبية) الخارجية مع جيرانها لأن الطبيعة الجبلية الوعرة تغرس في نفس الإنسان عدم الثقة بالآخرين والوعورة تورث النفس الإنسانية شيئاً من القسوة في الطبع كما أن العزلة الطبيعية تجعل الإنسان يتوجس خيفة ويتدفق حذراً من الآخرين. وبتطاول الزمن يصبح سكان هذه المناطق على قدر من التوحش والخشونة في التعامل والاعتداد

بالذات والشجاعة وتتنامى فيهم الروح العدائية أكثر من الروح السلمية الودودة.

ولكن بقدر من التعاون الثقافي والتبادل المعرفي وفي ظل العولمة يمكن تجاوز هذه السلبية ويمكن تحويل هذا الجانب السالب إلى جانب إيجابي فيتحول ذلك إلى عامل من عوامل التعاون والتكامل مع جيرانها (إريتريا والسودان ومصر ويوغندا) لأن خصوبة الأرض على هذا المستوى هي بحاجة إلى خبرة مصرية وسودانية وإلى قوى عاملة وإلى توعية. وهذا يمكن أن توفره مصر والسودان.

والحياة في الطبيعة الجبلية تغرس في النفس روح التمرد والتحلل من القيود والميل إلى التحرر، ولعل ذلك يفسر الصراعات والتنافس القبلي الحاد لأن الحياة القبلية ترفض سيادة لسلطة مركزية، والسلطة المركزية ترفض الخروج على سلطانها ومن هنا تنشأ أزمة الصراعات وإثبات الوجود. وبتحليل للشخصية الأثيوبية الإريترية من خلال ما تقدم يمكن أن نفسر شراسة الحرب الدائرة الآن بين الجارتين اللتين كانتا بالأمس تشكلان كياناً سياسياً واحداً ويدينان لسلطة مركزية واحدة، هذا بالإضافة إلى الأجندة الخارجية ذات الأهداف الإستراتيجية في إشعال هذه الحرب. وإذا أردنا أن نبدل الواقع فلا بد من نشر وعي تكاملي بين دول الجوار.

وأقسى تلك الحوائط ذلك الجرف الهائل الذي يقع إلى الغرب من بحيرة تانا ويفصل بين السودان والحبشة، وهو الذي يدور من حوله النيل الأزرق في إنحداره من هضبة الحبشة إلى أن يدخل أراضي السودان الحالي. وهو يشير إلى أزلية الرباط السوداني المصري الحبشي (١٨).

ويلاحظ أن معظم أثيوبيا هضبة مرتفعة في شرق أفريقيا (١٩) متوسط ارتفاعها بين (٤,٠٠٠ - ٦,٠٠٠ قدم). وأعظم ظاهرة فيها هي الأخدود الأفريقي العظيم الذي يشغل البحر الأحمر جزأه الشرقي وكذلك بحيرات جنوب شرق الهضبة الحبشية وبحيرة رودلف. والجزء الغربي من الأخدود فيه بحيرة البرت وفكتوريا التي تعتبر ثاني بحيرات العالم اتساعاً ويخرج منها نيل فكتوريا، وهذه روابط طبيعية بين كل من السودان وأثيوبيا وإريتريا ومصر.

ويخرج النيل الأزرق من بحيرة تانا التي يصل منسوبها إلى ١٧٥ مترا فوق سطح البحر وهي بحيرة هابطة في وسط هضبة بركانية تطل حافاتها بإنحدار شديد نحو البحر الأحمر يتفاوت بين (٢٠٠٠ - ٦٠٠٠) قدم وتنحدر تدريجياً نحو

(١٨) فتحي غيث : مصدر سبق ذكره ص١٠ - ١١ .

(١٩) زاهر رياض - عبدالعليم السيد منسي : مصدر سبق ذكره ص٦ .

الغرب والشمال الغربي تجاه سهول السودان (سودان وادي النيل). ولذا كانت الأنهار الهامة تجري في هذين الاتجاهين. وتصنع مجاري هذه الإنهار خوانق قديمة في الهضبة. كما تجري أنهار أخرى نحو الجنوب الشرقي إلى الصومال مثل نهر جوبا ونهر وبى شبيلي (٢٠). وهي تشكل روابط طبيعية بين هذه الأقاليم التي تمر فيها. وتؤكد على عمق الروابط بين كل من أثيوبيا والسودان ومصر وإريتريا تؤكد على أهمية التكامل وضرورة التعاون فيما يتصل بمصادر المياه والاستفادة من طاقتها وإمكاناتها في إحداث طفرة إنمائية في المنطقة كلها. لا سيما وأن القرن الحادي والعشرين هو قرن صراع المياه، فالطبيعة تؤكد على ضرورة تعاون هذه الدول الخمس : (مصر والسودان وأثيوبيا وإريتريا ويوغندا) في منظومة واحدة متناسقة، وأن تضع سياسات اقتصادية واجتماعية وتربوية وثقافية غايتها تقوية روابط شعوب ودول المنطقة وتدفع إلى التكامل فيما بينها.

ويبلغ ارتفاع المنطقة الجبلية الواقعة في داخل الهضبة (١٥,٠٠٠) ويقسم الأخدود الأفريقي العظيم الهضبة إلى جزءين شمالي غربي كبير وجنوبي شرقي صغير (٢١). ويفصل الهضبة الجنوبية الشرقية عن الهضِبة الوسطى (٢٢). والمناطق الجنوبية من الحبشة تختلف من عدة أوجه عن الوسط والشمال فهي غير مرتفعة وموسم أمطارها أطول. هاتان الحقيقتان تقرران أن مناخ هذه المناطق شبه استوائي وهي مناطق غنية بالحشائش. هذا وتقع المدن الرئيسية في أثيوبيا على الهضبة العالية. وأكثر ما يتركز السكان في الأودية الخصبة. وتنتشر في أجزاء عديدة من الحبشة ينابيع دافئة ظل الأحباش ومنذ القدم يدركون فوائدها الطبيعية ويستخدمونها في العلاج.

ومما لاشك فيه أن مثل هذه الينابيع الدافئة تكون غنية بالمعادن التي لا تزال تستخدم في علاج كثير من الأمراض ويمكن الآن عن طريق الأبحاث العلمية المتقدمة أن يُستفاد منها وأن تدر على البلاد دخلاً قومياً وأن تشكل مشروعاً تكاملياً بين دول المنطقة ومنظوراً سياحياً وأفقاً جديدة من آفاق مشروعات المستقبل بين دول الجوار فهنالك من يملك القدرات المادية والعلمية والخبرات الطويلة كالسودان ومصر وهناك من يملك المال والأيدي العاملة أو المكون الطبيعي.

---

(٢٠) فيليب رفلة : مصدر سبق ذكره ص١٢٩ .
(٢١) زاهر رياض - عبدالعليم منسي : مصدر سبق ذكره ص٦ .
(22) Buxton , D.Op.cit . pp . 21..

ولا شك أن وجود مثل هذه الينابيع الدافئة بالحبشة يمكن أن يشكل أرضية صلبة لإحداث طفرة في مجال التعاون بين كل من السودان ومصر وأثيوبيا وإريتريا ويوغندا باستخدام موانئ إريتريا والبحر الأحمر وبتعبيد الطرق بين هذه الدول الخمس يمكن أن تخلق مشاريع سياحية تكاملية بين كلٍ من مصر والسودان وأثيوبيا وإريتريا ويوغندا. فمن أهرامات مصر وآثارها إلى آثار السودان في البجراوية والبركل إلى المياه الدافئة بأثيوبيا إلى المناظر الطبيعية الأخاذة ومجاري الأنهار وسحر الطبيعة بيوغندا. ولا شك أن ارتفاع الدخل القومي في هذه الدول الخمس يقود إلى رفاهية شعوب هذه البلاد ويقود إلى توفير قدر من الأمن الاقتصادي والاجتماعي وبأثيوبيا مساقط شديدة الانحدار فيها بحيرة تانا التي ينحدر منها (الأبادي) أو النيل الأزرق الذي يزيد عمقه في بعض الأماكن عن ٤٠٠ قدم ويندفع في انحناءة كبيرة تتجه أولاً ناحية الشرق ثم إلى الجنوب الشرقي ثم تنتهي أخيراً إلى الشمال الغربي محيطاً بهضبة جودجام العالية. وبها نتوءات بازلتية مرتفعة تتوارى قممها كالعذارى في الشعر العربي وسط السحاب في غزل طبيعي منقطع النظير (٢٣). وهذه بدورها تشكل مشروعاً مستقبلياً واعداً في مجال توليد الطاقة الكهربائية التي أضحت ذات فاعلية في الصناعة والتطور وتنمية الإنسان. وبوجود قدر من التعاون يمكن أن يستفاد من توليد طاقة هائلة في أثيوبيا وتسويقها.

ويرجع إرتفاع الهضبة الحبشية إلى الطفح البركاني الذي يغطي معظم الهضبة فهناك قمم شامخة تعلو على ثلاثة آلاف وأربعة آلاف متر والبعض مغطى بالثلوج. وهذه الجبال والهضاب مقطعة بوديان متعددة أهمها في الجنوب الغربي السوباط، وفي الغرب النيل الأزرق الذي يمد النيل كما تقدم، وهو ينحدر من بحيرة تانا الواقعة في الهضاب الشمالية من أثيوبيا وعلى طول مجرى هذا النيل لا نجد أثراً للقرى إلا عندما نقترب من الحدود السودانية التي تبعد نحو (٤٧٠ ميلاً) من بحيرة تانا وتنخفض نحو (٤٥٠٠) قدماً عن مستوى البحيرة التي تقع بجوار بلدة (بحردار). ويلي النيل الأزرق في الأهمية نهر العطبرة ومصادره المختلفة التي أهمها نهر تكازي الذي ينبع من أواسط الهضبة. ويعتبر النيل الأزرق من أهم الأنهار الحبشية (٢٤) بسبب عظم الكمية التي يحملها إذ يصل تصريفه

---

(23) Ibid .p .87

(٢٤) فتحي غيث : مصدر سبق ذكره . ص١٢ – ١٣ .

في فصل الفيضان إلى (٦٠٠,٠٠٠) متراً مكعباً في الثانية (٢٥). وهو ينحدر من مركز الهضبة الوسطى عبر السهل الذي يغطي المنطقة الغربية (٢٦) ويتغذى النيل الأزرق بروافد عديدة في وسط الهضبة. ويلتقي نهر عطبرة بالنيل المختلط في الشمال كما قدمنا. والنيل الأزرق من أهم روافد التكامل والتعاون بين دول وادي النيل السودان أثيوبيا ومصر وهو يحكي أبعاد العلاقة المصرية الأثيوبية السودانية العناية بشعابها في الزمان.

ويمكن دراسة إمكانية قيام مشاريع مستقبلية من حيث تعميق المجرى وتقليل نسبة الفاقد بين كل من السودان وأثيوبيا ومصر، والاستفادة إلى أقصى حد من كل قطرة بإقامة مشاريع تعبئة المياه وتصديرها في شكل مشروع تكاملي بين دول الحوض وتوسيع الرقعة المزروعة واستصلاح الأراضي الصالحة للزراعة في المنطقة في كل من السودان وأثيوبيا وإريتريا والاستفادة من الخبرة المصرية والعمالة المصرية المتميزة لزيادة حجم المنتج وتوزيعه بنسب عادلة بين الجميع وفق معطيات موضوعية غايتها الارتقاء بالأداء في هذه المنطقة الواعدة دون حساسية مكانية أو زمانية أو عرقية.

هذه هي أهم روافد النيل والتي تمده بمياه الفيضان ويشكل النيل الأزرق رافد تواصل طبيعي بين السودان الحالي ومصر والحبشة (أثيوبيا) ويجسد علاقة تاريخية وطبيعية خالدة. ويؤكد على وجود مصالح مشتركة بين دول وادي النيل (أثيوبيا - السودان - مصر). وتتصرف مياه الهضبة في الجنوب الشرقي نحو المحيط الهندي في نهر جوبا ونهر وبي شبيلي (٢٧) اللذان ينحدران إلى السهل الشرقي الكبير وينتهيان في الصومال (٢٨) ليضيفان إلى العلاقة السودانية الأثيوبية المصرية بعداً آخر ألا وهو متانة العلاقة بالصومال، وهو من ضمن منظومة القرن الأفريقي وليؤكدان على ضرورة التعاون والتواصل وأبعاد العلاقات التاريخية والحضارية بين هذه البلدان ويشير إلى أزلية العلاقة القائمة بحكم الطبيعة والجوار وأن السياسة ينبغي أن لا تسقط من حسابها أهمية هذه العلاقة الأزلية وأن لا تتجاهل أبعادها الموضوعية، حيث أن السياسة التي لا تقوم على حسابات الربح والخسارة أو التي لا تضع في حسبانها هذه الأزلية التاريخية

(٢٥) زاهر رياض، عبدالعليم السيد منسي : مصدر سبق ذكره ص٩ .

(26) Buxton ,D. Op.cit . pp .12 .

(٢٧) فيليب رفلة : مصدر سبق ذكره ص٣٣٨ .

(٢٨) فتحي غيث : مصدر سبق ذكره . ص١٤ .

والمكانية فهي سياسة مآلها إلى الفشل، لأن ما يربط بين هذه الدول ثقافياً وحضارياً وعرقياً واجتماعياً وطبيعياً أعظم وأكبر من أن يخضع لأهواء الساسة. وهناك نهر أواش الذي ينحدر شرقاً ونهر أومو الذي يتجه نحو الصحراء الكينية جنوباً (٢٩). ويقع نهر أواش في منتصف الهضبة في مقاطعة شوا إلى الجنوب من أديس أبابا ويتجه شمالاً ثم شرقاً في بلاد الدناكل.

ويبدأ من شمال الهضبة نهر مأرب ويمر بأكمله في إرتريا حتى يصل حدود السودان الشرقية وهناك يسمى القاش حيث يمتد خلال الرمال ماراً بمدينة كسلا وينتهي بعدها بقليل (٣٠). هذه هي الأنهار التي تشكل رباطاً أزلياً مع السودان ومصر وإريتريا مما يجعل لها مصيراً مشتركاً ومستقبلاً موحداً في المصالح وكذا رابطاً مع مصر هذا بالإضافة إلى نهر البركة الذي يبدأ من مرتفعات إريتريا ويتجه شمالاً إلى البحر الأحمر بالقرب من طوكر. وتشكل هذه الأنهار جميعها الأنهار الأساسية في الحبشة الملائ بعدد لا حصر له من القنوات التي تمتلئ بالمياه أثناء نزول الأمطار، فتشكل حواجز وموانع طبيعية للمسافر بالبر في موسم الأمطار والفيضان (٣١).

وكان يمكن بقدر من التعاون وتبادل الخبرات والمنافع أن تشكل هذه القنوات مشاريع مشتركة والاستفادة منها في استصلاح الزراعة واستنطاق التربة واستخراج خيراتها، لا سيما وأن مصر تملك الخبرة والعمالة وكذلك السودان. فقط إن الأمر يحتاج إلى صفاء نفوس وإخلاص نوايا وصدق توجه. إذ أن هذه الدول بحكم الطبيعة والتضاريس والمناخ تتطلع إلى مستوى من التكامل والتعاون فيما بينها.

هذا وتقع إريتريا على الساحل الغربي للبحر الأحمر المقابل لشبه الجزيرة العربية حيث يبلغ طول ساحلها على البحر الأحمر ألف كيلو متر يحدها غرباً وشمالاً السودان حيث تمتد الحدود السودانية الإريترية لما يقارب الخمسمائة كيلو، وتحد جنوباً بأثيوبيا وتتداخل الحدود الأثيوبية الإريترية لما يقارب التسعمائة كلم، ومن الجنوب الشرقي جيبوتي ويطل لسانها الجنوبي على باب المندب ويشمل (٦٢١) جزيرة أهمها أرخبيل دهلك وتبلغ مساحة إريتريا الكلية (١٢٠,٠٠٠) كلم مربع.

---

(29) Buxton ,D. Op.cit . pp .12 .

(٣٠) فتحي غيث : مصدر سبق ذكره . ص١٣ – ١٤ .

(٣١) المصدر السابق .

وتتقسم تضاريسها إلى هضبة وسطى وشمالية من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها ويتراوح ارتفاعها ما بين (٢,٠٠٠ - ١٠,٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وتتمتع بجو ربيعي ممطر ويخترقها نهر البركة والقاش وستيت أو العطبرة الذي يشكل الحدود مع أثيوبيا (٣٢).

وإريتريا وأثيوبيا الحالية كلها تعني الحبشة ووفقاً لهذا المفهوم فإن الحبشة تقع بين خطي الطول (٣٣-٤٨) درجة شرقاً وخطي العرض (١ -١٥) درجة شمالاً وكما لاحظنا فأنه رغماً عن إرتفاعها الهائل من سطح البحر والذي يصل في بعض الأحيان إلى (١٥,٠٠٠) قدم إلا أنها تتخللها وديان عميقة من ميل إلى ميلين. ويلاحظ أن الجزء الجنوبي الغربي من الحبشة يشكل وحدة جغرافية تعرف بمرتفعات (أثيوبيا - كافا) والتي تمتد من إريتريا في الشمال وتشمل بلاد التقري والأمهرة. وكجام وشوا وكافا من الأسماء النوبية والأسماء المتداولة في سلطنة الفونج والتي اكتسبت مكانة في السودان لاسيما اسم (كجام). ولعل ذلك يفسر عمق التواصل في هذه المنطقة ومدى التأثير الثقافي والتاريخي ومدى الرباط القوي بين ما يعرف الآن بأثيوبيا وما يُعرف الآن بالسودان بحدوده الجغرافية والسياسية. ولعل ذلك مما يدل على وحدة الأصول والتراث والعادات والتقاليد والتداخل العرقي واللغوي. وهو عامل إيجابي في مجال التعاون والتكامل الذي تهدف هذه الدراسة إلى تحقيقه وإثباته. وهو الأمر الذي لا يمكن للسياسة أن تنفيه بل ينبغي عليها أن تنميه وتبحث عن قواسمه المشتركة ونقاط تقاطعه لتوثقها.

ويبلغ أقصى ارتفاع في هذه المنطقة (٦,٥٠٠) قدم (٣٣). كما تكثر الأنهار الموسمية في الجزء الغربي من أثيوبيا والتي تصبح عند فيضانها حاجزاً يعزل الحبشة عن منطقة القلابات ويكون النيل الأزرق حاجزاً طبيعياً يفصل منطقة كجام عن الجزء الجنوبي من الحبشة (٣٤).

المناخ ودوره في التقارب بين دول وادي النيل :-

أما من حيث المناخ فيلاحظ أن أثيوبيا تسودها أنسب ظروف المناخ في العالم فدرجات الحرارة تخلو من التقلبات الفصلية. والمناخ على وجه العموم يعتبر معتدلاً في معظم أيام السنة، حيث يتراوح المدى الحراري اليومي ما بين ٨ درجات

---

(٣٢) حسن مكي محمد أحمد : تطور أوضاع المسلمين الإريتريين، السودان، الخرطوم، د. ن، ط ١٩٨٩ . ص٥ .

(٣٣) محمد سعيد القدال : المهدية والحبشة، السودان، الخرطوم، د ن، ط ١٩٧٣م ص١٤ .

(٣٤) المصدر السابق .

ليلاً، ٢٥ درجة نهاراً (٣٥). وتتميز الهضبة الأثيوبية باعتدال الجو على مدار السنة في جميع أنحاء الهضبة (٣٦). والحرارة ملطفة بالارتفاع. هذا وأشد شهور السنة حرارة هي مارس وأبريل ومايو (٣٧). ونتيجة لارتفاع الأرض يوجد تنوع في المناخ تبعاً لهذا الارتفاع. ولذا نجد في أثيوبيا المناخ الاستوائي الحار كما نجد المناخ المعتدل والمناخ البارد (٣٨).

وتتراوح درجات الرطوبة ما بين ٤٢ و٦٢ درجة. والاختلافات الفصلية توجد أثناء الفصول المطيرة مما يسبب عدم توقف الإنتاج الزراعي في أي وقت من السنة. وإذا ما أحسن استخدام الطبيعة وحسنت النوايا وتكاتفت الأيدي وتضافرت الجهود بين دول الجوار يمكن أن يُستغل ذلك كله لصالح المنطقة ككل من حيث إحداث طفرة إنمائية واكتفاء ذاتي وفق تخطيط إستراتيجي بعيداً عن المؤثرات الخارجية والدوران في فلك المحاور ذات الأجندة الخفية التي أضرت بالمنطقة كثيراً فيما مضى وبددت الجهود وأهدرت الطاقات وأججت الحروب حول قضايا ثانوية وأضاعت الوقت فيما لا طائل وراءه غير الخراب والدمار.

وتتميز الحبشة بهطول أمطار غزيرة لها أهمية عظمى في الحياة الاقتصادية ويمتد فصل الأمطار حيث يصل النمو ذروته في فبراير وهناك فصل أمطار قصير يمتد من فبراير إلى مارس (٣٩) وتتلقى الهضبة أمطاراً صيفية غزيرة نتيجة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية الآتية من المحيط الهندي. وموسم الأمطار في هذه المرتفعات هو موسم الأمطار في الهند. حيث تبلغ الأمطار ٤٠ً في أديس أبابا صيفاً و٥ً شتاء، بينما هرر في الجنوب أمطارها ٢٩ً صيفاً و٣ً شتاء. ويقل المطر في شمال الهضبة وشرقها (٤٠).

مما لا شك فيه أن هذه الأمطار هي سبب وجود مجموعة كبيرة من الأنهار ذات الأهمية العضوية والحيوية في حياة وتكييف قدر لا يستهان به من شعوب المنطقة ولعل أكثرها أهمية كما سبقت الإشارة إليه هي الأنهار الغربية التي تتصل بالنيل وتمده بالفيضان الكبير مما يسبب نشاطاً زراعياً ذا أثر عظيم في إقتصاد كل من مصر والسودان وإريتريا. وهذه الأنهار كما قدمنا هي العطبرة والنيل

---

(٣٥) زاهر رياض، عبدالعليم السيد منسي : مصدر سبق . ذكره ص٨ .
(٣٦) فتحي غيث : مصدر سق ذكره . ص١٢ .
(٣٧) فيليب رفلة : مصدر سبق ذكره . ص٣٣٩ .
(٣٨) زاهر رياض، عبدالعليم السيد منسي : مصدر سبق ذكره . ص٣٨ .
(٣٩) زاهر رياض، عبدالعليم السيد منسي : مصدر سبق ذكره . ص ٨ – ٩ .
(٤٠) فيليب رفلة : مصدر سبق ذكره ص٣٣٩ .

الأزرق والسوباط ويستقبل هذا النهر الأخير أكبر كمية من المطر لكونه أول من يستقبل الأمطار وآخر من يودعها(٤١).

وهذه الأنهار تشكل مشروع تعاون كبير وتكامل طبيعي ذو نظرة استراتيجية بين دول المنطقة. الأمر الذي يقتضي تخطيطاً مشتركاً للاستفادة منها إلى الحد الأقصى بتقليل نسبة الفاقد وإنشاء السدود والخزانات المشتركة لا أن يترك الأمر لإمكانات كل دولة على حدة، الأمر الذي يضعف إمكانية التعاون ويعزز روح الانفرادية في اتخاذ قرارات مصيرية بالنسبة لشعوب المنطقة.

هذا وفي موسم الأمطار تكتسي البلاد بحلة كثيفة من الحشائش وتزدهر المراعي (٤٢) وتصبح القمم والسفوح مخضرة مزدانة بالأعشاب، والأزهار فتغدو تلك القمم والسفوح من أجمل الصور الطبيعية كما هو الشأن في يوغندا حيث تغدو كل من أثيوبيا ويوغندا جنة من جنان الدنيا. وهذا الخضم من الأزهار المختلفة في أثيوبيا يشكل طعاماً وغذاءً لجماعات النحل التي تعطي البلاد كميات كبيرة من العسل والذي بدوره يكون نسبة عالية من غذاء السكان وشرابهم ويشكل نسبة معتبرة من دخلهم القومي (٤٣). وتشتهر مقاطعة أندرتا (Enderta) جنوب أجام بإنتاج العسل الأبيض وتدجين النحل (٤٤). وقد اشتهرت الحبشة منذ القدم بتصدير العسل الأمر الذي يدل على أنه يدخل ضمن المكونات الأساسية من دخلها القومي وإنتاجها الطبيعي. ويمكن بوجود مشروعات مشتركة أن يجد هذا العسل طريقه بصورة علمية مدروسة إلى أسواق السودان ومصر وإريتريا وأن يرفع ذلك من الدخل القومي لدول المنطقة إذا خضعت مسألة تربية النحل وإنتاجه في الحبشة لمنظور علمي وتخطيط استراتيجي.

وخلاصة القول أنه بالرغم من أن أثيوبيا تقع بالقرب من خط الاستواء إلا أنها تتمتع بمناخ معتدل بسبب ارتفاع معظم أجزائها. وأكثر مناطق الاستيطان فيها يتراوح ارتفاعها بين (٦,٠٠٠ ، ٩,٠٠٠) قدم مثل أديس أبابا وأسمرا وهرر. وتوجد بها ينابيع دافئة ذات أصل بركاني حول أديس أبابا (آمبو)، (وليسو) وفي (ابرير - جوثا) بالقرب من ديردوا وفي ايليت بالقرب من مصوع (٤٥). وهذه بدورها يمكن أن تشكل دخلاً قومياً من الوجهة السياحية إذا أحسن استثمارها

(٤١) زاهر رياض، عبدالعليم السيد منسي : مصدر سبق ذكره . ص ٨ - ٩ .

(٤٢) فتحي غيث : مصدر سبق ذكره . ص١٥ .

(٤٣) زاهر رياض، عبدالعليم السيد منسي : مصدر سبق ذكره . ص ١٠ .

(44) Salt ,H. A voyage to Abyssinia London, Sec . ed (1991) p.489 .

(٤٥) زاهر رياض، عبدالعليم السيد منسي : مصدر سبق ذكره . ص ٦٦ .

وتسويقها بإحداث نوع من التكامل والتعاون بينها وبين جيرانها :(السودان - إريتريا - مصر - يوغندا).

ومعظم تربة أثيوبيا من الصخور البركانية الخصبة. ونسبة كبرى من الأرض تستخدم في الرعي بسبب الأمطار الموسمية إلا في بعض الأماكن التي تقع في ظل المطر. والغابات تحتل جزءاً كبيراً من الأرض. وأهم تلك الغابات تقع على الجزء الأوسط من النيل الأزرق على ضفتيه (٤٦). ولا تتعدى مساحة الأرض المزروعة ١٠٪ من المساحة الكلية للأرض الصالحة للزراعة فعلاً (٤٧) مما يمثل إهداراً فعلياً وإهمالاً لإمكانات حيوية فاعلة في الاقتصاد القومي، وهي ذات المشكلة التي يُعاني منها السودان قد يكون ذلك بدرجة أقل وكذلك يوغندا.

وهذه مشكلة حقيقية تلازم الإنسان الأفريقي عموماً وليس الأمر مقتصراً على الحبشة، الأمر الذي ينم عن عدم وعي وتجاوب فاعل مع الطبيعة التي من الله بها على أهل هذه القارة ولعل إهدار الطاقات سمة من سمات العالم الثالث ولعل أي دولة أفريقية معاصرة تنشد النهضة لأبد من أن تتعاطى مع القراءة الواعية والسليمة لعدد من المعطيات الإيجابية لكل دولة من دول الجوار بغية إحداث قدر من التعاون والتكامل ودعم أقدار التقارب فيما بينها وأي تجاهل لهذا الجانب ينم عن غفلة وعدم قراءة واعية للواقع والطبيعة والتاريخ حيث يلاحظ أن الأمم التي صنعت التاريخ هي التي استوعبت دروس الواقع والتاريخ واستنفذت طاقتها وإمكاناتها وتواكبت مع العطاء الطبيعي والتسخير الإلهي بإبداعات وإنجازات استغرقت الزمان والمكان وخلقت مع من حولها منظومة صنعت أمجاداً توشح بها الزمان والمكان. لاسيما ونحن الآن نشهد تحولاً تاريخياً هاما في مجال العلاقات البينية وتقارب الأمم والشعوب.

ومما لاشك فيه إن إهدار ٩٠٪ من الأراضي التي يمكن استصلاحها وزراعتها أمر يقتضي من دول الجوار الوقفة والتعاون، وهذا القدر من الأراضي يشكل مشروعاً مستقبلياً للتعاون بين كل من مصر وأثيوبيا وإريتريا ويوغندا والسودان. فإذا ما نجحت هذه الدول في أن تمد أيديها لبعض وأن تتعاون لإحداث اكتفاء ذاتي وازدهار اقتصادي واستصلاح أي تربة أرض صالحة للزراعة يمكن أن تشكل فيما بينها سوقاً مشتركة يكون نواة للسوق الأفريقية المشتركة وفق رؤية مستقبلية ذات بُعد استراتيجي. لا سيما إذا تم استثمار الغابات الأثيوبية الكثيفة في مشروع

(٤٦) المصدر السابق. ص٣٩.
(٤٧) فتحي غيث : مصدر سبق ذكره. ص١٥.

أخشاب على مستوى الدول الأربع. ويمكن أن تكتفي هذه الدول ذاتياً وتقوم بعملية التصدير فيما يتصل بالمصنوعات الخشبية وصناعة الورق وأن تنافس دولياً دون منازع.

وتمتاز الأرض الأثيوبية في أغلب أرجاء البلاد بالخصوبة. وللثروة الحيوانية شأن عظيم في هذه البلاد ففي فترة إزهار المراعي تصبح أثمان الأبقار والأغنام زهيدة ويتكون منها الغذاء الرئيسي (٤٨). فإذا ما قدر للقيادات السياسية أن تقوم بدور تاريخي في كل من الحبشة والسودان ومصر وإريتريا ويوغندا متجاوزة أقدار الأنانية إلى قراءة نتائج التحول الحضاري والتاريخي يمكن أن تصنع من معطيات الطبيعة الإلهية معجزات الحضارة البناءة، إن هذه الوفرة يمكن أن تستثمر في مجال تنمية العلاقات البينية والتكامل الاقتصادي وزيادة الدخل القومي لهذه الدول مجتمعة.

إذ لا تخفى الكثافة السكانية المصرية وندرة اللحوم بمصر. فبقيام صناعة لحوم مشتركة يمكن أن تخلق صور تعاون وتكامل بين أثيوبيا ومصر عبر السودان وإريتريا، وعن طريق استخدام تقنيات حديثة تستطيع هذه الدول كالشأن في المياه والكهرباء أن تخزن اللحوم بعد تبريدها وكذا الألبان. وغني عن القول أن ذلك لا يتسنى لدولة بمفردها وإنما يتطلب جهداً مشتركاً. ويربي الأثيوبيون الأبقار والأغنام والجمال والماعز والخيول والبغال هذا بالإضافة إلى الحيوانات البرية والمتوحشة (٤٩). وتعتبر مقاطعة (Enderta) زاخرة بحيواناتها المتوحشة كالأفيال والأسود ووحيد القرن وكل الحيوانات المتوحشة (٥٠).

وهذه الأنواع إذا وجدت الرعاية والتخطيط السليم يمكن أن تزيد من الدخل القومي وتشكل مصدراً هاماً في مجال التنمية القطرية وتحدث قدراً من التقارب والاكتفاء الذاتي لدول المنطقة عن طريق تنشيط التجارة البينية وتحديث طرق الاتصال والمواصلات وتعبيد الطرق والحبشة ملئ بالطيور والأسماك وتوجد بها الأسود والنمور والفهود والأفيال والدب المتوحش، والغزال والحمار الوحشي لا سيما حول نهر أواش (٥١) ولربما كان هذا العطاء الإلهي السخي سبباً في الكسل والخمول وعدم استثمار الطاقات البشرية لأقصى حد.

---

(٤٨) زاهر رياض، عبدالعليم السيد منسي : مصدر سبق ذكره . ص٣٤ .

(٤٩) فتحي غيث : مصدر سبق ذكره . ص١٥ .

(50) Salt , H: Op.cit . pp . 488 .

(٥١) زاهر رياض، عبدالعليم السيد منسي : مصدر سبق ذكره . ص٦٦ .

وتختلف المحاصيل الزراعية تبعاً لتنوع المناخ، فمن محاصيل الجهات الحارة كالبن والمطاط وقصب السكر الذي دخل حديثاً والذرة والدخن إلى محاصيل الجهات المعتدلة كالكروم والحبوب والفاكهة. وكل ذلك يشير إلى الهبة الإلهية والتي كانت تقتضي بذل قدر من الجهد ودرجة من التخطيط والتفكير الواعي والقراءة الصحيحة لمسارات التاريخ التي لا ترحم. ويتطلب ذلك قدراً من تبادل الخبرات وتوحيد الجهود والتخطيط الإستراتيجي بين دول المنطقة مجتمعة.

وبرؤية مستقبلية واعدة يمكن تسخير هذه الخبرات وهذا الوجود الحيواني الكثيف وهذه الطيور والأنواع المختلفة من المنتجات وتحويلها إلى مشروعات مشتركة تحقق الازدهار والاكتفاء للجميع. لأنه مما لا شك فيه أن هذه الثروات هي أكبر من طاقة أثيوبيا وتفوق مقدراتها المتواضعة للاستفادة منها إلى أقصى درجة. إذ الأمر يحتاج إلى تضافر جهود دول المنطقة الخمس والألف ميل يبدأ بخطوة. وهذا هو المطلوب فعله من هذه الدول الخمس مجتمعة بأن تسعى نحو بعضها بجدية وفاعلية ووفق جدول زمني محدد بعيداً عن مجاملات السياسة وتسويقها ومظاهرها الخادعة، لأن الأمر أمر وجود وكينونة وإلا ابتلعتها عاصفة العولمة ومزقتها إلى كيانات يصعب لملمتها بعدئذ.

ويعتبر البن من أقدم المنتجات التي تشتهر بها أثيوبيا وهو ينمو برياً في إقليم كافا في الغرب ويعرف هذا البن باسم البن الحبشي، ولكن تزرع كميات أخرى من البن في الشرق في منطقة هرر ويعرف باسم البن الهرري. ويشكل البن أهم صادرات أثيوبيا إذ يعتبر من أجود أنواع البن في العالم لا سيما الذي ينتج في إقليم هرر وإقليم جيما (Jimma) حيث توجد مدينة كافا (Kaffa) التي إشتق منها اسم القهوة في جميع اللغات الأوربية (٥٢). الأمر الذي له دلالته الحضارية. وإذا ما اتحدت جهود هذه الدول الخمس بدلاً من أن يصدر هذا البُن في شكل مادة خام يمكن أن تنشأ صناعات مشتركة ليتم تصديره بعد قيام مصانع مشتركة غايتها الاستفادة من هذه المادة إلى أبعد حد ممكن من حيث مستخرجاتها ولواحقها.

الحرفة الرئيسية للأحباش هي الزراعة والرعي للماشية والأغنام والماعز. أما الخيل فقليلة وتوجد البغال والحمير وهي وسيلة للنقل في هضاب أثيوبيا. أما الزراعة فتتمثل في زراعة البن الهرري في الشرق وفي كافا كما يزرع الشعير

(٥٢) فتحي غيث مصدر سبق ذكره. ص ١٦.

والقمح والذرة. والمناطق الشمالية تمتاز بكثرة أمطارها ونباتها. وفي المناطق الجافة في الجنوب الشرقي والشرق يجمع الصمغ وعسل النحل وشمعه (٥٣). ويعتمد سكان أثيوبيا الوسطى بصورة رئيسية على الزراعة حيث يزرعون القطن واللوبيا والقرع واليقطين والدخن والسمسم والذرة السكرية التي ترد إليهم من السودان والشعير والكاراويا السوداء والباقلا والحمص والكتان والثوم والعنب والعدس والبازلاء واللفت والبيقة (Vetch) والقمح المصري، إضافة إلى بعض الفواكه والحبوب الأخرى بعضها آسيوي والآخر من العالم الجديد.

أن الذرة السكرية الواردة من السودان والقمح المصري الوارد من مصر فيه إشارات ثقافية وتاريخية وواقعية تؤكد على وجود علاقات تلقائية ولكنها تحتاج إلى التخطيط ووضع سياسات واستراتيجيات غايتها استثمار هذا الكم الهائل من أقدار التواصل والترابط وإزكائه برسم معالم التعاون والتكامل تجاوزاً للانعزالية والانفرادية والدوران في رحى الدول الطامعة من خارج القارة. إذ تكمن قوة كل من مصر والسودان وإريتريا وأثيوبيا ويوغندا في تعاونها فيما بينها وتجاوز خلافاتها مهما كانت. وفق منظور إستراتيجي بعيد المدى واضح الرؤى غايته تحقيق وحدة متكاملة. أو على أقل تقدير تحديد سقوف وخطوط حمراء للتعاون لا ينبغي لأي من الأقطار المذكورة تجاوزها تبعاً لأهواء الساسة أو نزواتهم، وهي التي ترسم معالم الروابط الأزلية والمصيرية بين شعوب هذه المنطقة وتصبح جزءاً من المنظومة التربوية والثقافية في كل هذه الدول.

ويعتمد الاقتصاد الحبشي أساساً على الزراعة. أما الماشية فهي الضأن والأغنام والخيول والحمير وبعض الجمال فهي توجد في منطقة التقري. أن هذه المنتجات الزراعية والحيوانية لو صحبتها نهضة صناعية بدعم مصري سوداني لأصبح لهذه الدول الخمس شأن عظيم.

وهناك مهن وراثية في الحبشة كالحدادة والتي تقوم بها طبقة معينة (٥٤)، ويبدو أن أثيوبيا كانت دائماً تنظر للبحر الأحمر باعتباره المنفذ الوحيد لتجارتها. أما بالنسبة للسودان ومصر وإريتريا فإن النيل كان يمثل رباطاً متيناً بين هذه البلدان الأربعة (٥٥). إضافة إلى الرباط العرقي والثقافي والاقتصادي.

---

(٥٣) فيليب رفلة : مصدر سبق ذكره . ص٣٣٩ .

(54) Murdock .G. Africa its peoples and their culture History . New York (ist .ed . 1959) p.185 .

(٥٥) الان مورهيد : مصدر سبق ذكره . ص٣٧ .

وفي الواقع أن عملية التأثر والتأثير متبادلة بين كل من مصر والسودان وأثيوبيا وإريتريا وهي من الوضوح بمكان سواء أكان في مجال الأعراق أو الأعراف أو الثقافة أو التجارة عكس ما ذهب إليه ألان مورهيد بقوله : (لم تتمكن العقائد الدينية أن تخلق جسراً بين النقيضين)، فالمسيحية تصاب بالخيبة والفشل بمجرد أن تقترب من الصحراء، وكما أن الإسلام لم يزدهر فوق الجبال (هذه في تقدير الباحث مغالطة تاريخية لا تستند إلى حقيقة موضوعية وهي موضوع أخذ ورد). ولم يقتصر الأمر على ذلك بل التجارة لم تزدهر إلى درجة تذكر بين هذه البلاد (٥٦). هذه دعوى تفندها الوقائع والمعاملات الجارية بين كل من السودان وأثيوبيا أو بين السودان ومصر وإريتريا أو بين السودان ويوغندا أو بين مصر وأثيوبيا والمراكز التجارية المشتركة على الحدود بين السودان وأثيوبيا وإريتريا ومصر حتى في أوقات تأزم العلاقات السياسية بين هذه البلاد مجتمعة. لذا فإن هذا القول لا يخلو من مجاوزة للحقيقة وإغفال للواقع، حيث أن القبائل مشتركة بين هذه البلاد وأن الوجود الأثيوبي والإريتري بالسودان أو مصر أو الوجود المصري بالسودان أو بأثيوبيا لم يقتصر على فترة دون أخرى. وحتى في فترة تأزم العلاقات السياسية نلاحظ وجود تجارة التهريب بغض النظر عن مشروعيتها أو عدمه فهي تعبير صادق عن الروابط بين هذه الدول وأنها لا يمكن أن تستغنى عن بعضها الآخر. وسلامة هذه التجارة ووصول بضائع أو منتجات الطرف الآخر يدل على أن هناك حماية من عنصر ذي انتماء عرقي مشترك هو الذي يقوم بهذا الدور بأمان ودون رقابة كالحال بين السودان وأثيوبيا أو إريتريا وأثيوبيا والسودان أو السودان ومصر. وهذه مسألة تحتاج إلى دراسة وإحصاءات في تقديري.

والأثر الإسلامي مشترك بين كل من السودان ومصر وأثيوبيا وإريتريا من وجهة نظر الباحث وذلك من خلال التأمل في مسألة السكان والأديان والسياسة وبحكم الجوار والحدود الطبيعية المتداخلة يلاحظ أن التداخل القومي والعرقي والثقافي قوي جداً بين كل من السودان وأثيوبيا وإريتريا ومصر. الأمر الذي يمكن استثماره في مجال تقوية العلاقات بين دول الحوض والوادي وإحداث قدر من التعاون والتكامل بين كل من السودان وأثيوبيا وإريتريا ويوغندا، وذات القدر هو مشترك بين مصر والسودان من ناحية الشمال وبين السودان وأثيوبيا من ناحية الشرق وبين السودان ويوغندا من ناحية الجنوب من حيث الانصهار العرقي

---

(٥٦) المصدر السابق .

والتداخل الحدودي والرباط الأولي بين هذه البلاد. هذا وتتقسم أثيوبيا إلى ثلاث عشرة ولاية يجاور السودان منها ثلاث ولايات من الشمال إلى الجنوب وهي : تقري وأمهرة وكجام (٥٧).

نتائج البحث

١- مصطلحات الحبشة- أثيوبيا-السودان- هي مصطلحات مترادفة من حيث الموضوع ومن حيث الدلالة والمكان.

٢- مصطلح الحبشة يؤكد على عمق العلاقة العربية الأفريقية. وأن اللغة والثقافة والدين والأعراف والعادات والفنون في هذه المنطقة يوجد بينها قاسم مشترك مما يعني تداخلا قوياً بين الجنس الحامي والسامي منذ عهود سابقة للإسلام.

٣- مصطلح أثيوبيا والإستقرار الكوشي بأثيوبيا ومعرفة المصريين بهذه البلاد منذ أمد بعيد يدل على تواصل عرقي وتجاري ولغوي منذ عهد الحضارة المصرية القديمة مما يشكل مخزوناً استراتيجياً في مجال إمكانية التعاون والتكامل بين دول الوادي وشعوبها.

٤- الطبيعة في إريتريا وأثيوبيا ساعدت على أن يكون لأثيوبيا طابع حضاري خاص وبالتالي أكتسب الإنسان الأثيوبي كثيراً من خصائصه من تلك الطبيعة العازلة من حيث الحذر وعدم الثقة بالآخرين وبداوة الطبع وخشونة المعاملة ولكنها كلها طباع مقدور عليها في ظل التواصل الإلكتروني والفضائي الحالي.

٥- توجد بأثيوبيا منتجات حيوانية ونباتية متعددة ومتنوعة وتوجد بها كمية من روافد الأنهار والبحيرات. كما توجد بها ثروة حيوانية هائلة حيث يمكن لأي واحدة من هذه المنتجات أن تكون مشروع تكامل مستقبلي عظيم على المستوى القومي والإقليمي والدولي في مجال الغذاء والكهرباء والسياحة والعلاج إذا تضافرت الجهود وخلصت النوايا وفكرت هذه الدولة وجيرانها باستراتيجية.

٦- إن دول وادي النيل بما تملكه من قدرات طبيعية وإمكانات بشرية وموروث تاريخي يمكن أن تشكل مشروع دولة عظمى في المنطقة ذات قدر حضاري فاعل ومعتبر.

(٥٧) محمد سعيد القدال : المهدية والحبشية . ص١٥ .

التوصيات :-

١- على جيران أثيوبيا مصر والسودان وإريتريا ويوغندا مساعدتها في صورة شراكة حقيقة قائمة على النِّدية في مجال استثمار الأراضي الصالحة للزراعة المهدرة فعلاً.

٢- إن القرن الحادي والعشرين هو قرن التحدِّي المائي في العالم فعلى دول وادي النيل الاتفاق على استثمار المياه المهدرة من مصب الأنهار إلى منتهاها بخلق مشاريع زراعية تعاونية وتكاملية من حيث التخطيط والتسويق والاستصلاح الزراعي وبناء السدود والخزانات برؤوس أموال وخبرات وإمكانات مشتركة إذ يمكن إنشاء محفظة مشتركة بين هذه الدول لهذا الغرض في كل من السودان ومصر وأثيوبيا وإريتريا ويوغندا.

٣- بأثيوبيا توجد مناظر أخاذة وميراث معتبر من الآثار وأماكن جاذبة فاتنة تمكن من عمل مشاريع سياحية مشتركة بين كل من السودان ومصر وإريتريا ويوغندا بالعمل على مد خط سكة حديد يربط بين هذه الدول الخمس والاستفادة من موانئ إريتريا. فيبدأ السائح رحلته من مصر وينتهي بها في أثيوبيا ويوغندا أو يأتي من خلال إريتريا ويبدأ من إريتريا ثم أثيوبيا ثم يوغندا ثم السودان وينتهي به المطاف في مصر فيختم رحلته بأهراماتها ومتاحفها وسواحلها.

٤- تملك أثيوبيا كما يملك السودان ثروات حيوانية هائلة مما يمكن من إنشاء مصانع لحوم وتصديرها برؤوس أموال وخبرات مشتركة بين كل من مصر والسودان وأثيوبيا وإريتريا ويوغندا الأمر الذي يقتضي التفكير الإستراتيجي والإنفاق السخي في هذا المجال.

٥- الانحدار الشديد للمياه من روافد الحبشة يمكن من إقامة خزانات يمكن عن طريقها توليد القوى الكهربائية بكيفية تجارية والعمل على تسويقها في الدول الأربع المجاورة وهذا مجال صالح للتعاون والتبادل والتكامل بين دول وادي النيل.

المصادر

كتب باللغة العربية :-

١- ألان مورهيد: النيل الأزرق/ ترجمة إبراهيم عباس أبو الريش/ لبنان/ بيروت/ د. ن/ ١٩٦٩م

٢- إسماعيل بن عبدالقادر الكردفاني: الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش/ تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم ومحمد سعيد القدال/ السودان/ الخرطوم/ د. ن/ ط يوليو ١٩٧٢م.

٣- باذل ديفيد صن : أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد أحمد/ لبنان/ بيروت/ د. ن /ط ١٩٦١م

٤- حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الأفريقية/ مصر/ القاهرة/ د. ن/ ط الثالثة ١٩٦٣م.

٥- حسن مكي محمد أحمد : تطور أوضاع المسلمين الإريتريين/ السودان/ الخرطوم/ د. ن/ ١٩٨٩م.

٦- زاهر رياض وعبدالعليم السيد منسي : أثيوبيا/مصر/القاهرة/د. ن/ ١٩٦٣م.

٧- رولاند أوليفر : موجز تاريخ أفريقيا/ ترجمة دولت أحمد صادق/ مصر/ القاهرة/ د. ن/د. ت.

٨- عبدالرحمن زكي : تاريخ الدويلات الإسلامية بأفريقيا/ مصر/ القاهرة/ د. ن/ ط ١٩٦٣م.

٩- فتحي غيث : الإسلام والحبشة عبر التاريخ/مصر/القاهرة/د. ن/د. ت.

١٠- فيليب رفلة : الجغرافيا السياسية لأفريقيا/ مصر/ القاهرة/ د. ن/١٩٦٦م.

١١- محمد بن إسماعيل (البخاري) : صحيح البخاري/تركيا/إسطنبول/المكتبة الإسلامية/د. ن/د. ت.

١٢- محمد سعيد القدال:المهدية والحبشة/السودان/الخرطوم/د. ن/١٩٧٣م.

١٣- . محمد بن مكرم بن علي بن منظور: لسان العرب/مصر/القاهرة/دار المعارف/١٩٨١م.

١٤- مكي شبيكة : السودان عبر القرون/مصر/القاهرة/د. ن/١٩٦٥م.

١٥- نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان/لبنان/بيروت/دار الثقافة/١٩٦٩م.

الكتب الإنجليزية :-

1- Buxton. D : Travels in Ethiopia ,England, london .dec .ed. 1967

2. Murdock, g. Africa its peoples and their culture history , New York (ist. Ed .1989).

3. Richard, Reusch : History of east Africa .U.S.A. New York sec. ed.1961.

4. Trimingham, S : Islam in Ethiopia ,England, London, sec. Ed. 1965.

5. Salt ,H , Avoyage to Abyssinia, England, London .sec ed .1951.